أليس فى بلاد الأعاجيب

Alice in the Wonderland

٤ — مع الدودة

سَارَتْ أَلِيسُ فِى الْغَابَةِ ، تَبْحَثُ عَنْ شَىْءٍ تَأْكُلُهُ ، عَلَّهَا تَعُودُ إِلَى طُولِهَا الْأَصْلِىِّ ، وَنَظَرَتْ حَوْلَهَا ، فَلَمْ تَجِدْ إِلاَّ حَشَائِشَ وَأَزْهَارًا لاَ تَصْلُحُ لِلْأَكْلِ . وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَلْبَثْ أَنْ رَأَتْ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا عُرْهُونًا كَبِيرًا (النَّبَاتَ الْمَعْرُوفَ بِعُشِّ الْغُرَابِ) ، يَبْلُغُهَا فِى الْارْتِفَاعِ ، فَنَظَرَتْ إِلَى سَاقِهِ ، ثُمَّ شَبَّتْ عَلَى طَرَفَىْ قَدَمَيْهَا لِتَرَى جُزْأَهُ الْعُلْوِىَّ ، فَوَجَدَتْ ، لِدَهْشَتِهَا ، دُودَةً زَرْقَاءَ ، جَالِسَةً عَلَى سَطْحِ الْعُرْهُونِ ، تُدَخِّنُ النَّارْجِيلَةَ ، فِى هُدُوءٍ غَرِيبٍ .

وشبت على طرفى قدميها فوجدت دودة زرقاء

وَبَقِيَتْ أَلِيسُ فَتْرَةً تَنْظُرُ إِلَى الدُّودَةِ فِى ذُهُولٍ ، وَالدُّودَةُ تَنْظُرُ إِلَيْهَا فِى عَظَمَةٍ وَفُتُورٍ ، حَتَّى تَكَلَّمَتِ الدُّودَةُ بِصَوْتٍ هَادِىءٍ رَزِينٍ ، وَقَالَتْ لِأَلِيسَ : « مَنْ أَنْتِ ؟ » فَأَجَابَتْهَا أَلِيسُ فِى خَجَلٍ : « أَنَا ؟ لاَ أَدْرِى يَا سَيِّدَتِى مَنْ أَنَا الْآنَ . لٰكِنَّنِى أَعْلَمُ مَنْ كُنْتُ فِى الصَّبَاحِ عِنْدَ مَا اسْتَيْقَظْتُ ، لِأَنَّنِى تَغَيَّرْتُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً ، مُنْذُ ذٰلِكَ الْوَقْتِ . »

الدُّودَةُ : « مَاذَا تَعْنِينَ بِذٰلِكَ ؟ أَلاَ يُمْكِنُكِ التَّعْبِيرُ عَمَّا فِى نَفْسِكِ بِأَوْضَحَ مِنْ هٰذَا الْكَلاَمِ ؟ »

أَلِيسُ : « إِنَّكِ مَعْذُورَةٌ يَا سَيِّدَتِى ، لِأَنَّكِ لاَ تَعْرِفِينَ الْحَقِيقَةَ . فَأَنَا لَسْتُ أَنَا نَفْسِى ، فَكَيْفَ أُعَبِّرُ عَمَّا فِى نَفْسِى ؟ هَلْ فَهِمْتِ الْآنَ يَا سَيِّدَتِى ؟ »

الدُّودَةُ : « كَلاَّ ، لَسْتُ أَفْهَمُ مَاذَا تَقْصِدِينَ بِقَوْلِكِ هٰذَا ؟ »

أَلِيسُ : « لاَ أَظُنُّنِى يَا سَيِّدَتِى قَادِرَةً عَلَى تَفْسِيرِ حَالَتِى ، لِأَنَّنِى أَنَا عَاجِزَةٌ عَنْ فَهْمِهَا . فَفِى كُلِّ سَاعَةٍ تَقْرِيبًا يَتَغَيَّرُ جِسْمِى مِنْ حَجْمٍ إِلَى حَجْمٍ ، حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ عَقْلِى ! »

الدُّودَةُ : « أَتَعْتَقِدِينَ أَنَّ تَغَيُّرَ جِسْمِكِ شَيْءٌ غَرِيبٌ ؟ أَلَا تَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الْأُخْرَى أَتَغَيَّرُ بِاسْتِمْرَارٍ ، مِنْ بَيْضَةٍ إِلَى دُودَةٍ إِلَى (شَرْنَقَةٍ) إِلَى فَرَاشَةٍ ، ثُمَّ أَعُودُ بَيْضَةً فَدُودَةً كَمَا كُنْتُ ، وَهٰكَذَا ، فَلَا أَشْعُرُ بِغَرَابَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ . »

أَلِيسُ : « هٰذَا غَرِيبٌ يَاسَيِّدَتِي ! لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مَخْلُوقَاتٍ تَتَغَيَّرُ هٰكَذَا . وَلٰكِنَّنِي أَرْجُوكِ أَنْ تَعْذِرِينِي ، فَهٰذَا غَرِيبٌ عَلَيَّ لَمْ آلَفْهُ . »

صَمَتَتِ الدُّودَةُ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَتْ : « اسْمَعِي . إِذَا أَكَلْتِ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْ هٰذَا الْعُرْهُونِ ، طَالَ جِسْمُكِ ، وَإِذَا أَكَلْتِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ قَصُرَ . فَاخْتَارِي مَا شِئْتِ » . ثُمَّ نَزَلَتْ مِنْ فَوْقِ الْعُرْهُونِ ، وَتَسَلَّلَتْ بَيْنَ الْحَشَائِشِ ، وَاخْتَفَتْ ، قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهَا أَلِيسُ أَيُّ الْجَانِبَيْنِ يَنْفَعُ لِلطُّولِ ، وَأَيُّهُمَا لِلْقِصَرِ .

وَجَعَلَتْ أَلِيسُ تُفَكِّرُ فِي غَرَضِ الدُّودَةِ ، بَيْنَمَا تَنْظُرُ إِلَى الْعُرْهُونِ ، فَتَرَاهُ مُسْتَدِيرًا ، لَا جَوَانِبَ لَهُ . وَأَخِيرًا مَدَّتْ ذِرَاعَيْهَا حَوْلَهُ ، وَنَزَعَتْ قِطْعَةً كَبِيرَةً بِيَدِهَا الْيُمْنَى ، وَأُخْرَى بِيَدِهَا الْيُسْرَى . ثُمَّ تَشَجَّعَتْ وَأَكَلَتْ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِمَّا فِي يَدِهَا الْيُمْنَى ، فَقَصُرَتْ فَجَأَةً ، حَتَّى اصْطَدَمَتْ ذَقْنُهَا بِقَدَمِهَا صَدْمَةً عَنِيفَةً أَرْعَبَتْهَا ، وَوَجَدَتْ نَفْسَهَا لَا زَالَتْ تَصْغُرُ وَتَنْكَمِشُ فَخَشِيَتْ أَنْ تَزُولَ كُلِّيَّةً ، فَأَسْرَعَتْ وَفَتَحَتْ فَمَهَا بِكُلِّ صُعُوبَةٍ ، وَأَكَلَتْ قِطْعَةً مِمَّا فِي يَدِهَا الْيُسْرَى ، فَرَأَتْ نَفْسَهَا قَدْ أَخَذَتْ تَطُولُ ، فَفَرِحَتْ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، لٰكِنَّهَا وَجَدَتْ أَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ فِي الطُّولِ ، حَتَّى اخْتَفَتْ كَتِفَاهَا عَنْ نَظَرِهَا ، وَبَعُدَتْ ذِرَاعَاهَا ، حَتَّى لَمْ تَعُدْ تَرَاهُمَا . وَرَأَتْ رَأْسَهَا قَدِ امْتَدَّ بَيْنَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ الْعَالِيَةِ ، الَّتِي كَانَتْ فَوْقَهَا .

وَأَرَادَتْ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ بَاقِي جِسْمِهَا ؛ فَجَعَلَتْ تَلْوِي رَقَبَتَهَا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ ، ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْيَسَارِ ؛ بَيْنَ أَفْرُعِ الْأَشْجَارِ ؛ وَإِذَا بِهَا تَسْمَعُ فُجَاءَةً حَفِيفًا غَرِيبًا ، ثُمَّ وَجَدَتْ حَمَامَةً تَضْرِبُهَا فِي وَجْهِهَا بِجَنَاحَيْهَا ، وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ : « ثُعْبَانٌ ! ثُعْبَانٌ ! بِرَبِّكِ ارْحَمْ يَضِي ، وَابْعُدْ عَنِّي أَيُّهَا الثُّعْبَانُ » . وَأَخَذَتْ أَلِيسُ الشَّفَقَةُ عَلَى الْحَمَامَةِ الْمِسْكِينَةِ ، وَقَالَتْ لَهَا : « لَا تَنْزَعِجِي يَا حَمَامَتِي الْعَزِيزَةَ . أَيْنَ الثُّعْبَانُ فَأَحْمِيكِ مِنْهُ ؟ »

الْحَمَامَةُ : « أَنْتَ الثُّعْبَانُ . إِنَّكَ وَرَائِي فِي كُلِّ مَكَانٍ . أَقَمْتُ عُشِّي تَارَةً عَلَى جُذُوعِ الْأَشْجَارِ وَقِمَمِهَا ، وَتَارَةً عَلَى ضِفَافِ الْأَنْهَارِ وَجُسُورِهَا ، وَتَارَةً عَلَى أَسْوَارِ الْمَنَازِلِ وَسُطُوحِهَا ، وَأَسْهَرُ اللَّيَالِيَ عَلَى بَيْضِي أَحْمِيهِ مِنَ الثَّعَابِينِ ، لٰكِنَّنِي أَجِدُ الثُّعْبَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، يَعْبَثُ بِي ، وَيُهَدِّدُنِي فِي بَيْضِي وَأَفْرَاخِي ، وَهِيَ أَعَزُّ شَيْءٍ لَدَيَّ . هَا قَدْ قَضَيْتُ ثَلَاثَةَ أَسَابِيعَ رَاقِدَةً عَلَى بَيْضِي ،

لاَ أَنَامُ لَيْلَ نَهَارٍ . وَالآنَ ، وَالْبَيْضُ عَلَى وَشْكِ الْفَقْسِ ، تَأْتِي أَنْتَ أَيُّهَا الثُّعْبَانُ الْجَشِعُ ، لِتَلْتَهِمَ بَيْضِي ، وَتَقْتُلَ (زَغَالِيلِي) الْمِسْكِينَةَ . »

أَلِيسُ : « مِسْكِينَةٌ أَيَّتُهَا الْحَمَامَةُ . إِنَّ طُولَ الرُّقَادِ وَالسَّهَرِ قَدْ أَثَّرَ عَلَى عَقْلِكِ . مَا أَنَا إِلاَّ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ فَلاَ تَخَافِي مِنِّي . »

الْحَمَامَةُ : « فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ ! ! لَقَدْ رَأَيْتُ فَتَيَاتٍ كَثِيرَاتٍ ، فَلَمْ أَرَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ مُلْتَوِيَةً كَالثُّعْبَانِ مِثْلَكَ . هَلْ تَحْلِفُ أَنَّكَ لَمْ تَأْكُلْ بَيْضًا قَبْلَ الآنَ ؟ »

أَلِيسُ : « نَعَمْ أَكَلْتُ بَيْضًا بِالطَّبْعِ . لَكِنِّي لاَ آكُلُهُ نِيئًا ، وَلاَ أَخْطَفُهُ مِنَ الْعُشِّ . »

الْحَمَامَةُ : « لاَ فَائِدَةَ مِنَ الْنُّكْرَانِ . فَادُمْتَ تَأْكُلُ الْبَيْضَ ، فَأَنْتَ ثُعْبَانٌ ، أَوْ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالثُّعْبَانِ ، فَابْتَعِدْ عَنِّي . »

وَوَجَدَتْ أَلِيسُ أَلاَّ سَبِيلَ إِلَى تَهْدِئَةِ الْحَمَامَةِ إِلاَّ بِالاِبْتِعَادِ عَنْهَا ، فَأَخَذَتْ تَسِيرُ بَعِيدًا عَنْهَا . وَكُلَّمَا اشْتَبَكَتْ رَقَبَتُهَا بِفُرُوعِ الأَشْجَارِ ، خَلَّصَتْهَا بِصُعُوبَةٍ . وَأَخِيرًا وَصَلَتْ إِلَى مَكَانٍ فَسِيحٍ ، خَالٍ مِنَ الأَشْجَارِ الْعَالِيَةِ ، وَجَعَلَتْ تُطَأْطِئُ رَأْسَهَا ، وَتَرْفَعُ ذِرَاعَيْهَا ، حَتَّى أَمْكَنَهَا أَنْ تَصِلَ إِلَى يَدِهَا ، وَأَكَلَتْ قِطْعَةً مِمَّا فِي يَدِهَا الْيُمْنَى ، فَأَخَذَتْ تَقْصُرُ ، ثُمَّ أَكَلَتْ مِمَّا فِي يَدِهَا الْيُسْرَى ، فَجَعَلَتْ تَطُولُ ، وَهَكَذَا صَارَتْ تَأْكُلُ مِنْ هٰذِهِ ، ثُمَّ مِنْ تِلْكَ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى طُولِهَا الطَّبِيعِيِّ .

عِنْدَ ذٰلِكَ هَدَأَتْ أَلِيسُ ، وَجَلَسَتْ عَلَى الْحَشَائِشِ بَيْنَ الأَزْهَارِ ، تُفَكِّرُ فِي طَرِيقَةٍ لِلْخَلاَصِ .

دقيقة فى القمر

كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَلَدًا حَادَّ الْمِزَاجِ سَيِّءَ الطِّبَاعِ ثَائِرًا عَلَى نِظَامِ بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ . وَكَانَ مُغْرَمًا بِقَطْعِ الأَزْهَارِ وَتَقْلِيعِ الشَّجَيْرَاتِ وَإِتْلاَفِ الْحَدِيقَةِ ، فَكَانَ لاَ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَى زَهْرَةٍ إِلاَّ انْتَزَعَهَا وَأَلْقَاهَا عَلَى الأَرْضِ وَوَطِئَهَا بِقَدَمَيْهِ .

وَذَاتَ مَسَاءٍ ، بَيْنَمَا هُوَ يَعْمَلُ عَمَلَهُ فِي الْحَدِيقَةِ كَعَادَتِهِ ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَ أُمِّهِ تُنَادِيهِ : « يَا إِبْرَاهِيمُ يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ هٰذَا النِّدَاءَ يُرَادُ مِنْهُ الذَّهَابُ إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ ، لأَنَّ وَقْتَ نَوْمِهِ كَانَ قَدْ حَانَ . وَلٰكِنَّ إِبْرَاهِيمَ بَدَلاً مِنْ أَنْ يُلَبِّيَ نِدَاءَ أُمِّهِ خَرَجَ مُسْرِعًا إِلَى الْفَضَاءِ الْمُجَاوِرِ ، وَارْتَمَى عَلَى الْحَشَائِشِ وَهُوَ يَقُولُ : « الآنَ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَبْحَثِي عَنِّي فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَأَنْ تُنَادِينِي بِأَعْلَى صَوْتِكِ كَمَا تَشَائِينَ ، وَلٰكِنَّنِي لَنْ أَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ ، لأَنَّنِي لاَ أُرِيدُ أَنْ أَنَامَ رَغْمًا عَنْ إِرَادَتِي .

وَهُنَا سَمِعَ إِبْرَاهِيمُ صَوْتًا غَرِيبًا خَافِتًا يُخَاطِبُهُ :